

النظم الاقتصادية

أولاً: الزراعة:- تطرق في البداية الى :

-((نظام الاراضي في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين))

فبعد استقرار الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المدينة شرع في تنظيم شؤون الدولة الاسلامية الاولى. فبدأ بوضع اسس للمبادئ الاقتصادية والمالية فيما يخص الجزية والخراج التي لم يفصل فيها القرآن الكريم وذلك لتوفير الاموال اللازمة للمسلمين الاوائل من المهاجرين خاصة، كما ذكرنا ذلك في المحاضرات السابقة .

فقد فرض الخراج على الاراضي التي افتتحها الرسول (صلى الله عليه وسلم) واتخذ اجراءات عدة في معاملتها لان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يكن ميالاً الى اتباع سياسة واسعة في اقطاع الاراضي للمسلمين لكي لا تشغلهم الزراعة عن الانصراف للجهاد ونشر الاسلام .

وقد اقطع الرسول (صلى الله عليه وسلم) لعدد من الصحابة قطائع من الاراضي التي استصفاهها من قبائل اليهود الذين هجرهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) خارج المدينة وكذلك من الاراضي التي وهبها الانصار للمهاجرين الاوائل ومن الاراضي الموات لأحيائها وليحث المسلمين على عمارة الارض فقد اقطع لابي بكر وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام (رضي اجمعين) كما اقطع قطائع لعلي بن ابي طالب ولعمار بن ياسر (رضي الله عنه) كما اقطع الرسول (صلى الله عليه وسلم) لبعض زعماء القبائل والمحتاجين من المسلمين وحثهم على استصلاح الاراضي الموات فقال (صلى الله عليه وسلم) : " من أحيا أرضاً ميتة فهي له " .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يهدف من ذلك استصلاح الاراضي وتألف قلوب المسلمين ورفع مستواهم المعاشي.

وفي خلافة ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) اقطع بعض كبار الصحابة اقطاعات كانت اغلبها من اراضي الموات منهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله. واقطع الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعلي بن ابي طالب (رضي الله عنه) وسعد بن ابي وقاص وغيرهم واشترط الخليفة عمر (رضي الله عنه) عمارة الارض وعدم احتجازها وفي خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فقد تساهل في منح الاقطاع من اراضي الصوافي في العراق وكانت في الغالب اراضي موات واجاز بيعها او استبدالها .

وقد اقطع كل من الخليفة عمر والخليفة عثمان (رضي الله عنه) قطائع في الثغور والعواصم الاسلامية بهدف استقرار المقاتلة والتوطن في مناطق الحدود مع الدولة البيزنطية .

* نظام الاراضي في العصرين الاموي والعباسي *

اتبع خلفاء الامويين سياسة التوسع في اقطاع الاراضي وكانت تهدف الى تحقيق اغراض سياسية لكسب الكثير من الموالين بالإضافة الى اقبال الامويين انفسهم على تملك الاراضي وقد ادت هذه السياسة بمرور الزمن الى ظهور الملكيات الفردية الواسعة، هذا بالإضافة الى ان الامويين شجعوا على احياء اراضي الموات التي كانت منتشرة في ارجاء الدولة الاموية الممتدة ما بين حدود الصين شرقاً والمغرب والاندلس غرباً. وقد ردت هذه الاراضي اموالاً طائلة على بيت المال.

وبالغ الخلفاء العباسيون في امتلاك الاراضي الزراعية واقطاع القطائع على الحاشية والاتباع والموالين لهم وتكونت لدى الاسرة العباسية اقطاعات مصادرة الضياع والاراضي من المغضوب عليهم من الوزراء وكبار رجال الدولة ومن اراضي الصوافي وراضي الموات وعن طريق الاجاء. وقد شهدت العصور الاسلامية ظهور اصناف عديدة للملكيات الزراعية وهي :-

١- الاراضي الخراجية.

٢- اراضي الصوافي .

٣- اراضي الخلافة (الضياع السلطانية).

٤- اراضي الملك (الملاك) .

١- الاراضي الخراجية:- تشمل الاراضي الخراجية عامة الاراضي التي فتحت منذ خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) خارج الجزيرة العربية والتي رفض الخليفة قسمتها بين الفاتحين وعدها فيئاً للأمة، وقد تركها بأيدي اصحابها يزرعونها مقابل دفع ضريبة الخراج فقد عدها الخليفة عمر (رضي الله عنه) اراضي صلح. وتتحول الاراضي الخراجية الى عشرية في حال اسلام الذمي، او في حالة انتقال هذه الاراضي الى المسلمين. ولقد نهى الفقهاء عن تمليك الاراضي الخراجية بوصفها فيئاً للمسلمين .

وفي خلافة عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنه) اعاد تنظيم ضريبة الارض، فقد اعاد ضريبة الخراج على الاراضي الخراجية سواء كان مالكةا مسلماً ام ذمياً باعتبارها ملك الامة الاسلامية ولما لكها ان يدفع عنها ايجار استثمارها وهو الخراج.

وفي العصر العباسي بالغ الخلفاء العباسيون في امتلاك الاراضي الزراعية من املاك الامويين ومن مصادرة اراضي كبار رجال الدولة ومن احياء اراضي الموات ومن الشراء والالغاء. فتكونت لديهم اراضي واسعة جداً كما منحوا اقاربهم الاراضي والضياع فأصبحت الاسرة العباسية في مقدمة الملاكين الكبار فمثلاً

ان غلة الاراضي التي تمتلكها الخيزران بلغت قيمتها (مائة الف لف وستين الف درهم) ما يدل على ضخامة موارد الاسرة العباسية من غلة الاراضي الزراعية .

٢-اراضي الصوافي:- وهي الاراضي التي فتحها المسلمين حرباً وكانت تحت سيطرة الفرس والبيزنطيين، وذلك منذ خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، من حق الخليفة ان يقطع منها لمن شاء، فكانت اغلب الاراضي التي اقطعت في عصر الراشدين في السواد من اراضي الموات لغرض احيائها فقد اقطع الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في البصرة ارضاً كانت سباخاً فأحياها عثمان بن عفان بن ابي العاص الثقفي. كما اقطع الخلفاء الامويون اراضي من الصوافي الموات فتم احيائها.

وفي زمن العباسيين توسعت اراضي الصوافي، فقد الحقوا بها كل ارض صودرت من الامويين واعوانهم وكل صفية اصطفاها العباسيون من الخارجيين على الدولة. وقد وضعت اراضي الصوافي تحت اشراف الدولة وانشأ الرشيد ديوان الصوافي. واجاز الفقهاء الاقطاع من اراضي الصوافي فهم يرون ان الصوافي تابعة للأمام وله الحق في ان يتصرف بها على وفق ما يراه مناسباً كحقه في التصرف ببيت مال المسلمين .

٣-اراضي الخلافة (الضياع السلطانية):- وهي املاك الخليفة وتختلف عن اراضي الصوافي، فضياع الخلافة خاصة بالخليفة في حين ان الصوافي اراضي الدولة وكانت ضياع الخلافة واسعة ومنتشرة في مختلف انحاء الدولة العربية الاسلامية في العراق والشام ومصر وفارس وخراسان وغيرهم.

ففي خلافة الامويين ضم معاوية بن ابي سفيان من اراضي الصوافي في العراق والشام والكوفة والبصرة والجزيرة واليمن اضافة الى امتلاك بعض الخلفاء الامويين الكثير من الضياع الزراعية والاراضي الكثيرة الواسعة في العراق وفارس وبلاد الشام .

وظهرت منذ العصر الاموي انظمة زراعية جديدة منها نظام الالغاء وهو ان يلجأ شخص الى تسجيل ارضه باسم خليفة او امير، كأنه المالك الحقيقي للأرض ليحمي نفسه من الضرائب المالية المترتبة على الارض كما ظهر نظام الايغار: وهي ان يوغر السلطان الارض لرجل فتصبح له دون ان يدفع عنها الخراج للدولة وانما يدفع للسلطان .

وفي العصر العباسي كانت ضياع العباسيين تتكون مما صودر من ضياع الامويين والاراضي التي ألجأها اصحابها للعباسيين مقابل حمايتهم لهم. والاراضي المصادرة من كبار رجال الدولة من وزراء وولاة ومن اراضي الموات والشراء، وكانت ضياع الخلافة هذه منتشرة في ارجاء الدولة العباسية ولقد تقلصت ضياع الخلفاء العباسيين للمدة بين ٢١٨-٤٤٧هـ بشكل كبير بسبب تسلط العناصر الاجنبية من اترك وبيهيين على خزائن الاموال وافلاس بيت المال وشغب الجند للحصول على الرواتب مما اضطر الخلفاء

العباسيون الى بيع الكثير من الضياع السلطانية لدرجة بلغت قيمة ما بيع من الاراضي خلال الفترة المذكورة ما يزيد على خمسين مليون دينار ولم يبق للخلفاء سوى اقطاعات صغيرة يعيشون من مواردها .

٤- **اراضي الملك (الملاك)** :- تعود الملكيات الزراعية الخاصة الى اصول عديدة ومنها الملكيات الخاصة للأفراد قبل عصر الفتوح وحركات التحرير التي اقراها العرب المسلمين بأيدي اهلها صلحاً ومنها اراضي الموات التي تم احيائها من السباخ والبضائع ومنها ما حصل عليها الافراد عن طريق الشراء من اراضي الصوافي وضياع الخلافة التي بيعت في اوقات الازمات المالية، وكان قسم من اراضي الملك (الملاك) مصدرها نظام الالغاء التي كان صغار الفلاحين والملاكين يلجأون اليها بسبب ضغط الحياة فيضعون اراضيهم في حماية الامراء والقادة والملاكين الكبار وتسجل تلك الاراضي بأسمائهم في الديوان مقابل منح جزء من الحاصل الى الحامي، ويمرور الزمن يتحول الملجأون الى ملاكين اصليين للأرض ويصبح اصحابها الاصليين مزارعين عندهم .

*** سياسة الدولة الزراعية ***

اولى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عناية كبيرة في تشجيع الزراعة وشجع المسلمين على احياء الاراضي الموات فقد روى عنه (صلى الله عليه وسلم) : "من احيا ارضاً مواتاً فهي له". وسار الخلفاء الراشدون سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الاهتمام بأحياء الاراضي الموات ولم يسمح للمسلمين احتجاز الارض وعدم زراعتها فقد كان لبلال بن الحارث قطعة ارض اقطعها الرسول (صلى الله عليه وسلم) له في وادي العقيق ولم يزرعها جميعاً فقال له عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ان رسول الله لم يقطعك لتحجز عن الناس وانما اقطعك لتعمل فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقي .

وقد اتجهت سياسة الدولة الزراعية في عصر الراشدين الى العناية بالأرض من حيث خصوبتها وتوفير وسائل الري كحفر الانهار والقنوات والجداول وكسح السباخ لزيادة الانتاج الزراعي من جهة وزيادة مصادر الاموال للخرينة ففي خلافة عمر بن الخطاب امر بحفر نهر معقل جنوب العراق وفي خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حفر نهر الابل .

وفي العصر الاموي ازدادت عناية الخلفاء الامويين في استصلاح الاراضي الزراعية وخاصة اراضي البضائع (الاهوار) في العراق وسدا لبثوق التي قد تحدث في الانهار واستصلاح السدود واقامة القناطر والجسور ومنها قنطرة الكوفة وحفر الانهار مثل نهر الجامع ونهر الحر .

وقد بذل الخلفاء العباسيون جهوداً كبيرة في العناية بالزراعة واستصلاح الاراضي الزراعية بعد ان اصبح العراق قاعدة الدولة العباسية فقد امر الرشيد بحفر نهر القاطول وفي خلافة المعتصم حفر نهر الاسحافي غربي دجلة وفي خلافة المتوكل حفر نهر المعروف بالجعفري شمال سامراء .

واعتنى العباسيون بإنشاء السدود والنواظم وإلى جانب طريقة الري الطبيعي عن طريق الانهار والقنوات كان هناك الري الاصطناعي الذي تستخدم فيه الآلات التي منها : الدوالي والكرود التي تجرها الابقار. والنواعير التي هي عبارة عن دواليب تدور بواسطة تيار ما قوي او الحيوانات احياناً .

واتبع العباسيون سياسة تخفيض الضرائب عن الفلاحين وحمايتهم من تعسف الجباة، وحدثت الخليفة المهدي تطوراً في نظام الجباية بأن اوجد نظام المقاسمة بدل (نظام المساحة) وحددا الضرائب الزراعية على الاراضي حسب طريقة السقي وطبيعة الارض وبعدها عن المدن والاسواق فقد امر الخليفة المأمون تخفيض نسبة ضريبة الخراج فجعلها ٤٠% من الحاصل بعد ان كانت النصف. وامر الخليفة المعتضد تأخير جباية الخراج ستين يوماً فأصبح يجبي في منتصف حزيران بعد ان كان يجبي في اواخر نيسان مما كان يضطر الفلاحين الى الاستدانة من الطرفين لتسديد الخراج وبريا فاحش، واعتمد نظام المقاسمة مما شجع على استقرار الفلاحين نتيجة تخفيف الاعباء المالية .

اما عن اساليب الزراعة التي كانت مستعملة آنذاك فمنها ان الارض لم تكن تزرع بأجمعها مرة واحدة بل كان يترك جزء منها دور او يزرع الجزء الاخر وذلك من اجل ان تستعيد الارض قدرتها على الانتاج وهكذا فقد كانت طريقة المناوبة هي المتبعة. اذ يعاد زراعة الجزء البور ويترك الجزء الذي زرع في الموسم الماضي وهكذا .

وقد استخدم الفلاحون المحراث الذي تجره الحيوانات لحراثة الارض استعملوا فضلات الحيوانات والرماد كسماد للأرض لزيادة قابليتها الانتاجية .

كما استخدموا الاقلام والبذور في زراعة اشجار الفاكهة وكذلك عزموا طريقة الترقيد، وتقنوا في اساليب الزراعة حتى انهم كانوا يزرعون احياناً في اوان خاصة.

وكثيراً ما كانت المحاصيل تتعرض لخطر الجراد الذي غالباً ما سبب للمزارعين خسائر فادحة، لذلك عمدوا الى مكافحته والتخلص من شره ومن اساليبهم في هذا المجال القضاء عليه في اماكن تواجدته وتكاثره وقبل ان يصبح قادراً على الطيران.

كما قامت الدولة العباسية باتخاذ اجراءات لمساعدة الفلاحين في اوقات الازمات التي تتعرض لها مزروعاتهم كالأزمات الزراعية والفيضانات والحرائق كأعفاء الفلاحين من ضريبة الخراج او تقديم المساعدات المالية لهم .

واهتم الخلفاء العباسيون بإدخال محاصيل زراعية جديدة من الاشجار والنباتات والخضراوات والبقول بهدف توسيع وتنويع المحاصيل الزراعية.

اما اهم المحاصيل الزراعية فهي الحنطة التي كانت اكثر ما تزرع في العراق وكذلك في خوزستان ومصر، اما الشعير فكان يزرع في واسط والمناطق المجاورة له بينما كانت الذرة تزرع في جنوبي جزيرة العرب وفي بلاد النوبة وكرمان. اما الرزفكان العراق وخاصة القسم الجنوبي منه من المناطق المهمة في زراعته وكذلك خوزستان .

واضافة الى هذه المحاصيل كانت هناك الفواكه وخاصة الكروم الذي كانت زراعته تفوق زراعة الفواكه الاخرى وكانت اشجاره اكبر ما تكون في اليمن وانتشرت زراعته في العراق وفارس وجميع انحاء الدولة الاسلامية .

وكان هناك الاترنج والنارنج اللذان ادخلا من الهند ثم زرعاً في عمان ومنها البصرة والشام وفلسطين ومصر.

وقد اشتهرت مصر بأنواع الليمون التفاحي وكان البطيخ من اكثر الثمار المباعة في الاسواق حتى ان سوق بيع الفاكهة كانت تسمى بدار البطيخ وكان القسم الشمالي من بلاد فارس مشهوراً بزراعته وكان بطيخ مر ويرسل طازجاً الى الخلفاء. وكذلك الرمان من الفواكه المهمة آنذاك وكذلك التفاح وكان تفاح الشام مضرب المثل.

اما التمر العراقي فكان اجود انواع التمور وخاصة تمر البصرة وقد اشتهرت بلاد الشام بالزيتون وانتشرت زراعة قصب السكر في مصر وكذلك في البصرة وصور وصيدا. وقد اشتهر سكان العراق كذلك بزراعة انواع الورود والرياحين التي كانت من مستلزمات الترف في ذلك الوقت. ومن هذه الرياحين والورود الياسمين والقرنفل والجوري والبنفسج وغيرها من انواع الورود .

المصادر والمراجع المستخدمة

- ١- الماوردي ، الاحكام السلطانية
- ٢- ابن يعلى الاحكام السلطانية
- ٣- ابن ابي الدم ، ادب القضاء
- ٤- الطقطقي ، الاداب السلطانية
- ٥- الماوردي ، نصيحة الملوك
- ٦- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك
- ٧- ابن الاثير ، الكامل في التاريخ
- ٨- المسعودي ، مروج الذهب

٩- مسكويه ، تجارب الامم

١٠- عبد العزيز الدوري ، النظم الاسلامية

١١- فاروق عمر فوزي ، النظم الاسلامية

١٢- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام

١٣- صبحي الصالح ، النظم الاسلامية

١٤- شحاذه الناطور ، النظم الاسلامية